

مَعْرِفَةُ
عِلْمُ اللَّهِ

ALLAH
KNOWING
Knowingallah.com

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

نداء الله تعالى للمؤمنين

النداء الثامن والعشرون

وجوب الوفاء بالعقود



علي بن نايف الشحود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النداء الثامن و العشرون

وجوب الوفاء بالعقود

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ
لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي
الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ } (١) سورة

المائدة



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا التَّزَمُوا الْوَفَاءَ بِجَمِيعِ الْعُهُودِ الَّتِي
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ ، وَالْعُهُودِ الْمَشْرُوعَةِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ ،
(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّ الْمُرَادَ بِالْعُقُودِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هِيَ
عُهُودُ اللَّهِ الَّتِي عَاهَدَ بِهَا إِلَى عِبَادِهِ ، أَيَّ مَا أَحَلَّ وَمَا حَرَّمَ ،
وَمَا فَرَضَ وَمَا حَدَّ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ فَلَا عُذْرَ وَلَا نَكْثَ) .

فَاللَّهُ تَعَالَى يَأْمُرُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْوَفَاءِ بِمَا
عَقَدُوهُ ، وَارْتَبَطُوا بِهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى ، مَا
لَمْ يَكُنْ يُحَرِّمُهُ حَلَالًا ، أَوْ يُحَلِّلُ حَرَامًا : كَالْعَقْدِ عَلَى الرَّبَا ، أَوْ
أَكْلِ مَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ (كَالرِّشْوَةِ وَالْقِمَارِ) .

ثُمَّ فَصَّلَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَحْكَامَ الَّتِي أَمَرَ بِهَا فَقَالَ : إِنَّهُ أَحَلَّ
لِلنَّاسِ أَكْلَ الْبَهِيمَةِ مِنَ الْأَنْعَامِ (وَهِيَ الْبَقَرُ وَالْإِبِلُ وَالْمَاعِزُ
وَالْغَنَمُ وَالْحَقِيبَةُ الظُّبَاءُ وَبَقَرُ الْوَحْشِ وَنَحْوُهَا) ، إِلَّا مَا
سَيُتْلَى عَلَيْهِمْ مِنْ تَحْرِيمِ بَعْضِهَا فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ ،
كَقَوْلِهِ تَعَالَى : { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ
{ وَعَلَى أَنْ لَا يُحِلُّوا صَيْدَ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ ، حِينَمَا يَكُونُوا
مُحْرِمِينَ لِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ .

وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ مِنْ تَحْلِيلٍ وَتَحْرِيمٍ ،
بِحَسَبِ الْحِكْمِ وَالْمَصَالِحِ الَّتِي يَعْلَمُهَا .
الْعُقُودُ - كُلُّ مَا تَعَاقَدَ عَلَيْهِ الْمَرْءُ وَالتَّزَمَ فِيهِ بِمُوجِبِ نَحْوِ
اللَّهِ وَنَحْوِ النَّاسِ .



إنه لا بد من ضوابط للحياة .. حياة المرء مع نفسه التي بين جنبيه؛ وحياته مع غيره من الناس ومن الأحياء والأشياء عامة .. الناس من الأقربين والأبعدين ، من الأهل والعشيرة ، ومن الجماعة والأمة؛ ومن الأصدقاء والأعداء . . والأحياء مما سخر الله للإنسان ومما لم يسخر .. والأشياء مما يحيط بالإنسان في هذا الكون العريض . . ثم . . حياته مع ربه ومولاه وعلاقته به وهي أساس كل حياة .

والإسلام يقيم هذه الضوابط في حياة الناس . يقيمها ويحددها بدقة ووضوح؛ ويربطها كلها بالله سبحانه؛ ويكفل لها الاحترام الواجب ، فلا تنتهك ، ولا يستهزأ بها؛ ولا يكون الأمر فيها للأهواء والشهوات المتقلبة؛ ولا للمصالح العارضة التي يراها فرد ، أو تراها مجموعة أو تراها أمة ، أو يراها جيل من الناس فيحطمون في سبيلها تلك الضوابط . . فهذه الضوابط التي أقامها الله وحددها هي « المصلحة » ما دام أن الله هو الذي أقامها للناس . . هي المصلحة ولو رأى فرد ، أو رأت مجموعة أو رأت أمة من الناس أو جيل أن المصلحة غيرها! فالله يعلم والناس لا يعلمون! وما يقرره الله خير لهم مما يقررون! وأدنى مراتب الأدب مع الله - سبحانه - أن يتهم الإنسان تقديره الذاتي للمصلحة أمام تقدير الله . أما حقيقة الأدب فهي ألا يكون له تقدير إلا ما قدر الله . وألا يكون له مع تقدير الله ، إلا الطاعة والقبول والاستسلام ، مع الرضى والثقة والاطمئنان . .



هذه الضوابط يسميها الله « العقود » .. ويأمر الذين آمنوا به أن يوفوا بهذه العقود ..

وافتح هذه السورة بالأمر بالوفاء بالعقود ، ثم المضي بعد هذا الافتتاح في بيان الحلال والحرام من الذبائح والمطاعم والمشارب والمناكح . وفي بيان الكثير من الأحكام الشرعية والتعبدية . وفي بيان حقيقة العقيدة الصحيحة . وفي بيان حقيقة العبودية وحقيقة الألوهية . وفي بيان علاقات الأمة المؤمنة بشتى الأمم والملل والنحل . وفي بيان تكاليف الأمة المؤمنة في القيام لله والشهادة بالقسط والوصاية على البشرية بكتابها المهيم على كل الكتب قبلها ، والحكم فيها بما أنزل الله كله؛ والحذر من الفتنة عن بعض ما أنزل الله؛ والحذر من عدم العدل تأثراً بالمشاعر الشخصية والمودة والشنان

هذا العقد أخذ الله ابتداء على آدم - عليه السلام - وهو يسلمه مقاليد الخلافة في الأرض ، بشرط وعقد هذا نصه القرآني : { قلنا : اهبطوا منها جميعاً . فإما يأتينكم مني هدى ، فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } فهي خلافة مشروطة باتباع هدى الله الذي ينزله في كتبه على رسله؛ وإلا فهي المخالفة لعقد الخلافة والتمليك . المخالفة التي تجعل كل عمل مخالف لما أنزل



الله ، باطلاً بطلاناً أصلياً ، غير قابل للتصحيح المستأنف! وتحتهم على كل مؤمن بالله ، يريد الوفاء بعقد الله ، أن يرد هذا الباطل ، ولا يعترف به؛ ولا يقبل التعامل على أساسه . وإلا فما أوفى بعقد الله .

ولقد تكرر هذا العقد - أو هذا العهد - مع ذرية آدم . وهم بعد في ظهور آبائهم . كما ورد في السورة الأخرى : { وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم؟ قالوا : بلى شهدنا! أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا : إنما أشرك آبؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم . أفتهلكنا بما فعل المبطلون؟ } فهذا عقد آخر مع كل فرد؛ عقد يقرر الله - سبحانه - أنه أخذ على بني آدم كلهم وهم في ظهور آبائهم . . وليس لنا أن نسأل : كيف؟ لأن الله أعلم بخلقه؛ وأعلم كيف يخاطبهم في كل طور من أطوار حياتهم . بما يلزمهم الحجة . وهو يقول : إنه أخذ عليهم هذا العهد ، على ربوبيته لهم . . فلا بد أن ذلك كان ، كما قال الله سبحانه . . فإذا لم يفوا بتعاقدهم هذا مع ربهم لم يكونوا أوفياء!

ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل - كما سيجيء في السورة - يوم نتق الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع





بهم . . وسنعلم - من السياق - كيف لم يفوا بالميثاق؛
وكيف نالهم من الله ما ينال كل من ينقض الميثاق .

والذين آمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - قد تعاقدوا
مع الله - على يديه - تعاقداً عاماً على السمع والطاعة في
منشطنا ومكرهنا ، وأثرة علينا ، وألا ننازع الأمر أهله.

وبعضهم وقعت له بعد ذلك عقود خاصة قائمة على
ذلك التعاقد العام . . ففي بيعة العقبة الثانية التي ترتبت
عليها هجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى
المدينة ، كان هناك عقد مع نقباء الأنصار . . وفي الحديبية
كان هناك عقد الشجرة وهو « **بيعة الرضوان** » .

وعلى عقد الإيمان بالله ، والعبودية لله ، تقوم سائر العقود
. . سواء ما يختص منها بكل أمر وكل نهي في شريعة الله
، وما يتعلق بكل المعاملات مع الناس والأحياء والأشياء
في هذا الكون في حدود ما شرع الله - فكلها عقود ينادي
الله الذين آمنوا ، بصفاتهم هذه ، أن يوفوا بها .





يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا نداء الله تعالى للمؤمنين

النداء الثامن و العشرون

علي بن نايف الشحود